

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَحْوُ الْأُمِّيَّةِ تَقْدِمٌ وَرَفْعَةٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيمِ الرَّحْمَنِ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، جَعَلَ الْعِلْمَ أَسَاسَ الْفَوْزِ وَالنَّجَاحِ، وَالتَّقَدُّمِ وَالصَّلَاحِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَمِينُهُ عَلَى وَحْيِهِ، وَرَحْمَتُهُ لِعِبَادِهِ، عَلَّمَهُ رَبُّهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، وَكَانَ فَضْلُهُ عَلَيْهِ عَظِيمًا، ﷺ وَعَلَى آلِهِ الْأَطْهَارِ الْأَبْرَارِ، وَأَصْحَابِهِ الْأَتْقِيَاءِ الْأَخْيَارِ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَعَمَّنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْقَرَارِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

اسْتَوْصُوا بِوَصِيَّةِ اللَّهِ تَتَّالُوا وَعَدَّهُ وَرِضَاهُ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١)، وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّهُ بِالْعِلْمِ تُبْنَى الْأَمْجَادُ، وَتُشَيَّدُ الْحَضَارَاتُ، بَلْ لَا يَسْتَطِيعُ الْمُسْلِمُ بِنَاءَ نَفْسِهِ وَتَحْقِيقَ الْعُبُودِيَّةِ لِرَبِّهِ، وَتَقْدِيمَ الْخَيْرِ لِأُسْرَتِهِ، وَمُجْتَمَعِهِ وَأُمَّتِهِ، إِلَّا بِالْعِلْمِ، لِذَا سَأَلَ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - رَبَّهُ وَهُوَ يَرْفَعُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ أَنْ يَهَبَ هَذِهِ الْأُمَّةَ رَسُولًا مُعَلِّمًا ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢)، وَظَلَّتْ هَذِهِ الدَّعْوَةُ مَحْفُوظَةً فِي ضَمِيرِ الْغَيْبِ حَتَّى جَاءَ قَدْرُهَا الْمَوْعُودُ عِنْدَ اللَّهِ وَفَقَّ حِكْمَتِهِ فَكَانَتْ الْاسْتِجَابَةُ فِي بَعْثَةِ نَبِيِّنَا ﷺ ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٣)، فَهِيَ مِنْهُ عَظْمَى، وَعِنَايَةٌ كُبْرَى، فَحَرِيٌّ بِكُمْ أَنْ تَتَهَضُّوا بِهِذِهِ الرِّسَالَةَ إِلَى أَسْمَى مَرَاتِبِ الْكَمَالِ الْبَشَرِيِّ عَنْ طَرِيقِ الْعِلْمِ وَتَسِيرُوا فِي نَهْجِ نَبِيِّكُمْ صَاحِبِ رِسَالَةِ الْعِلْمِ.

(١) سورة البقرة/ ٢٨٢ .

(٢) سورة البقرة/ ١٢٩ .

(٣) سورة الجمعة/ ٢ .

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

لَقَدْ افْتَتَحَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نُزُولَ الْقُرْآنِ بِكَلِمَةٍ (اقْرَأْ)، وَجَعَلَ هَذَا الْاِفْتِتَاحَ بِاسْمِ الرَّبُّوبِيَّةِ الدَّالِّ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(١)، إِنَّ الْقِرَاءَةَ هِيَ أَوَّلُ دَرَجَةٍ مِنْ دَرَجَاتِ سَلْمِ الْمَجْدِ، بِهَا يَرْتَفِعُ الْإِنْسَانُ وَيَرْقَى، وَيَسْعُدُ وَلَا يَشْقَى، وَيَحْيَا ذِكْرُهُ وَيَبْقَى، كَمَا أَنَّهَا طَرِيقُ الْعِلْمِ وَسَبِيلُ الْمَعْرِفَةِ، مَنْ سَلَكَ اهْتَدَى وَهَدَى، وَفَازَ وَنَجَا، وَلازِمَهُ التَّقَدُّمُ وَالرَّقِيُّ أَبَدًا، فَهُوَ فِي حَيَاتِهِ مَشْكُورٌ، وَبَعْدَ مَمَاتِهِ مَذْكُورٌ، فَلَا عَجَبَ وَلَا غَرَابَةَ أَنْ أَمَرَ اللَّهُ بِالْقِرَاءَةِ، وَأَرْشَدَ إِلَى الْاِسْتِعَانَةِ عَلَيْهَا بِاسْمِ رَبِّنَا جَلَّ وَعَلَا، فَمَنْ رَبَّى نَفْسَهُ وَوَلَدَهُ عَلَى الْقِرَاءَةِ وَنَشَأَ عَلَيْهَا ضَمِنَ لِنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ السَّلَامَةَ وَالنَّجَاةَ، وَحَفِظُوا مِنَ التَّخْبُطِ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ، فَقُلْ أَنْ يَسْلُكَ الْمَرْءُ - وَقَدْ أَحَبَّ الْقِرَاءَةَ - طُرُقًا مُتَنَوِيَّةً وَسُبُلًا مُنْحَرِفَةً، فَهُوَ بِالْقِرَاءَةِ لَوْ قَتَ فَرَغِهِ مُعَمَّرٌ، حَيْثُ الْكِتَابُ أُنَيْسُهُ، وَرَفِيقُهُ وَجَلِيسُهُ، يَزْدَادُ بِسَعَةِ الْاِطْلَاعِ مَعْرِفَةً بِشَتَّى شُؤُونِ الْحَيَاةِ؛ وَيُشَارِكُ فِي تَقَدُّمِ الْبَشَرِيَّةِ وَرَقِيِّ الْاِنْسَانِيَّةِ، وَلَقَدْ كَرَّرَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي أَوَّلِ آيَاتِ الْوَحْيِ نُزُولًا الْأَمْرَ بِالْقِرَاءَةِ، وَلِلتَّكْرَارِ مَعْنَاهُ، وَهَدْفُهُ وَمَغْزَاهُ، وَبَيْنَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ بِالْقِرَاءَةِ يَذْكُرُ اللَّهُ خَلْقَ الْإِنْسَانِ، وَفِي ذَلِكَ إِحْيَاءٌ بِأَنَّ قِيَمَةَ الْإِنْسَانِ تَكُونُ بِقَدْرِ مَا حَوَاهُ مِنْ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ، جَمَعَهَا عَبْرَ قِرَاءَةٍ مُفِيدَةٍ، نَفَعَ بِهَا نَفْسَهُ وَنَفَعَ غَيْرَهُ، فَأَصْبَحَ رَافِدًا مِنْ رَوَافِدِ الْخَيْرِ، إِنَّ الْمَرْءَ حِينَ يَتَعَوَّدُ الْقِرَاءَةَ يَعَشَقُهَا، فَتَصْبِحُ لَهُ عَادَةً، ثُمَّ طَرِيقًا إِلَى نَيْلِ الْمَجْدِ وَالسَّعَادَةِ، فَالْقِرَاءَةُ سَبِيلٌ إِلَى جَمْعِ الْعِلْمِ وَتَحْصِيلِهِ، ثُمَّ تَثْبِيْتِهِ وَتَأْصِيلِهِ، وَالْعِلْمُ أَشْرَفُ مَا رَغِبَ فِيهِ الرَّاْغِبُ، وَأَفْضَلُ مَا طَلَبَ وَجَدَّ فِيهِ الطَّالِبُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّ الْكِتَابَةَ لِلْقِرَاءَةِ مُرَافِقَةٌ، وَلَهَا صَاحِبَةٌ مُوَافِقَةٌ، وَلِذَا جَاءَتْ الْاِشَارَةُ إِلَيْهَا فِي أَوَّلِ آيَاتِ

الوحي نَزُولًا؛ حَيْثُ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى أَلْتَهَا وَوَسَيْلَتَهَا مَقْرُونَةً بِالْعِلْمِ فَقَالَ: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾^(١)، كَمَا كَانَ الْقَسْمُ بِالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُهُ هُوَ أَوَّلَ قَسْمٍ يُقْسِمُ بِهِ اللهُ وَيَذْكُرُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(٢)، إِنَّ الْكِتَابَةَ قَيْدٌ لِلْعِلْمِ، وَعَوْنٌ عَلَى الْفَهْمِ، فَتَعَلَّمُهَا مِنْ أَلْزَمِ اللُّوْازِمِ، لَا يَغْفُلُ عَنْهَا عَاقِلٌ وَلَا يَتْرُكُهَا حَازِمٌ، وَمَنْ اعْتَمَدَ عَلَى حِفْظِهِ وَتَصَوُّرِهِ وَأَغْفَلَ الْكِتَابَةَ؛ فَمَا أَدْرَكَ هَدْفَهُ وَمَا أَصَابَهُ، ذَلِكَ لِأَنَّ النَّسْيَانَ مُلْازِمٌ لِبَنِي الْإِنْسَانِ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْأَثْرِ: ((قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابَةِ))، وَقِيلَ: ((اجْعَلْ مَا كَتَبْتَهُ رَأْسَ مَالِكَ، وَمَا فِي قَلْبِكَ لِلنَّفَقَةِ)).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَاطْلُبُوا الْعُلُومَ وَالْمَعَارِفَ، وَدَرَّبُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ عَلَى مُمَارَسَةِ الْكِتَابَةِ وَالْقِرَاءَةِ، هَيِّئُوا لَهُمُ النُّصُوصَ مَنْظُومَةً أَوْ مَنْثُورَةً، كَيْ يُتَقَنُوا كِتَابَتَهَا وَيَنْتَفِعُوا بِقِرَاءَتِهَا.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلِكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ سَتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** **

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، نَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى مَا تَفَضَّلَ وَأَنْعَمَ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى مَا وَهَبَ وَقَسَمَ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ الْأَكْرَمُ، أَرْشَدَ الْإِنْسَانِيَّةَ إِلَى مَنْهَجِ الْحَيَاةِ السَّوِيَّةِ، وَدَعَا إِلَى التَّعَلُّمِ وَنَبَذَ الْأُمِّيَّةَ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَعَلَى كُلِّ مَنْ اهْتَدَى بِهِدْيِهِ، وَأَسْتَنْ بِسُنَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

إِذَا كَانَتْ أَهْمِيَّةُ الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ فِي الْإِسْلَامِ مَا عَلِمْتُمْ؛ فَمَا أَحْرَانَا فِي مُجْتَمَعِنَا الْإِسْلَامِيِّ أَنْ نَنْبِذَ ضِدَّهَا، الَّتِي هِيَ الْأُمِّيَّةُ، فَمَا فَسَا الْجَهْلُ فِي أُمَّةٍ إِلَّا قَوَّضَ أَرْكَانَهَا، وَصَدَّعَ بُنْيَانَهَا،

(١) سورة العلق / ٤ .

(٢) سورة القلم / ١ .

وَلِذَلِكَ حَرَصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْعِلْمِ وَالْقِرَاءَةِ وَالكِتَابَةِ، فَبَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرٍ، جَعَلَ فِكَائِكَ بَعْضِ الْأَسْرَى تَعْلِيمَهُمْ عَشْرَةَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ الْكِتَابَةَ وَالْقِرَاءَةَ، حَتَّى إِنَّهُ لَمَّا تُوْفِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَ هُنَاكَ كَثِيرٌ مِنْ كُتَّابِ الْوَحْيِ، الَّذِينَ اخْتَصَّوْا بِكِتَابَةِ الْقُرْآنِ وَجَمْعِهِ، كَمَا كُتِبَتْ فِي عَهْدِهِ ﷺ الْكَثِيرُ مِنَ الرَّسَائِلِ وَالْمُعَاهَدَاتِ، وَبِهَذَا نَقَلَ الْإِسْلَامُ النَّاسَ مِنَ الْأُمِّيَّةِ إِلَى الْعِلْمِ، وَمَلَأَتْ عُلُومُ الْمُسْلِمِينَ أَقْطَارَ الْأَرْضِ، وَأَنَارَتْهَا عِلْمًا وَمَعْرِفَةً.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَاعْمَلُوا بِقَوْلِ رَسُولِكُمْ ﷺ: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ))، فَطَرِيقُ الْجَنَّةِ لَا يَكُونُ مَفْتُوحًا لِمَنْ أَعْمَى الْجَهْلُ قَلْبَهُ وَتَخَبَّطَ بِهِ فِي دُرُوبِ الضَّلَالَةِ، لَا يُمَيِّزُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالرُّشْدَ مِنَ الْغَيِّ، وَلَا الْهُدَى مِنَ الضَّلَالِ، وَلَا الْحَلَالَ مِنَ الْحَرَامِ، وَإِنَّمَا أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، فَقَدْ أَمَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلًا عَلِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ اعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَانْكَسِرْ

شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَكَتَبَ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ،
 وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتُغِيثُ إِلَّا تَكَلَّنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ، وَأَصْلِحْ لَنَا
 شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ
 أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي
 ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ
 وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
 وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.